د. مباركية عيسى
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المقياس: النقد السيميائي
التخصص: نفد ومناهج . ليسانس
المستوى: السداسي الخامس

المحاضرة رقم 05

منطلقات السيميائية عند أمبرتو إيكو Umberto Eco

يعد الناقد الايطالي "امبرتو إيكو" من بين النقاد الذين كان لهم باعا في مجال السيمياء، ويتضح ذلك من خلال جهوده والتي حقا كانت علامة فارقة في الدراسات النقدية لما قدمه من أطروحات واستثمره من جهود من سبقه.

وسنحاول في هذه المحاضرة أن نكشف عن بعض مرتكزاته في الدرس السيميائي، والتي هي أصلا قد انبثقت من تنظيرات "شارل سندرس بيرس" ذلك أن جل ما أنجزه في "العلامة" أو "السيميائية وفلسفة اللغة" من مفاهيم ومصطلحات من مثل "عتبة السيمياء" و"عالم الإشارة"و"عالم المعنى"و"المرجع" و"نظام الرمز"...
إنما هو مستوحى من أفكار ورؤى "بيرس" لاسيما فيما يتعلق بسيرورة إنتاج الدلالة واشتغال العلامات، والعناصر التي رسمناها في هذه المحاضرة ستحدد ذلك.

1. المنطقات السيميائية عند أمبرتو إيكو:

لقد كانت جهود "بيرس" وطروحاته السيميوطيقية بمثابة الانطلاقة الأساسية والفعلية في بناء المنجزات السيميائية "لأمبرتو إيكو"، فقد استقى واستوحى أغلب الأفكار والمفاهيم التي نادى بها "بيرس"، والمتتبع لكتاباته السيميائية يجد أنها ذات طابع فلسفي وبعيدة عن الجانب اللساني، ذلك أن الفلسفة هي اختصاصه الأصلي، لذلك كان متأثرا بسيميائية "بيرس" ولم يتأثر بسيميائية "سويسر"، على الرغم من أنه كان أحد منابع السيميائية التي أرسى قواعدها.
والسبب في ذلك يعود إلى أن اللغة عند "سويسر" نظام مغلق"، تجمع بين دال ومدلول فقط، إذ يغيب "المرجع" في نظريته، بينما تنفتح سيميائية "بيرس" على "الدليل" بقطبيه (اللساني والأنساقي)، وهذا الأخير يتضمن (الأيقونة، الإشارة، الرمز) فهنا يضاف "المرجع" للإحالة على السياقات والملابسات الخارجية، وهذا هو جوهر التأويل الذي ربطه "إيكو" بالسيميائية "البورسية" التي تعكس تصوره لعملية الإدراك، إدراك الذات، وإدراك الأثر، إدراك "الأنا"، وإدراك العالم الذي تتحرك داخله هذه الأنا، وليس هذا الإدراك للأنا والآخر إلا حلقة من حلقات التأويل الذي يصبو إليه "إيكو".
فالمرجع إذن ضروري في تفعيل دور العلامة، "فإيكو" ينظر لها (العلامة) في إطار علاقتها ببقية الوحدات التي بإمكانها أن تفضي إلى دلالات مختلفة باختلاف سياقاتها، لا بوصفها وحدة معزولة عن السياق.

2. مفهوم العلامة عند "أمبرتو إيكو"

يعد موضوع "العلامة" من أول مظاهر تجلي البحث السيميائي في نشاط "إيكو" التأويلي، بوصفها (العلامة) "علما للعلامات أو السيرورات التأويلية"، ذلك أن السيميائيات في المقام الأول هي نظرية في التأويل".

والعلامة عند "أمبرتو إيكو" ليست علامة لغوية فحسب، بل يمكن أن يتحول ما هو غير لغوي إلى علامة، ويرى "أمبرتو إيكو" أن العلامة يمكن أن تدل على أمارات لا حصر لها، من أمثلة ذلك نذكر:

. العرض، السمة؛ وهو شيء يدرك ويمكن أن نستخلص منه توقعات واستنتاجات وإشارات خاصة بشيء آخر غائب ومرتبط به كأن تبدوا آثار مرض على وجه مريض، أو يعبر المريض عن هذا المرض (علامات فيزيقية)، سمات فيزيقية مثل : لطخة، ندبة تسهل التعرف على شيء أو على شخص آخر.

. ايماءات وأفعال تحيل على طريقة في الوجود والفعل والإحساس مثل: (التعابير عن فرح، أو علامة خارجية تدل على الثراء والغنى).

ويورد"إيكو" أمثلة كثيرة لا يسعنا ذكرها، بل إنه يقول : " إن الإنسان علامة وما يحيط به علامة وما ينتجه علامة، وما يتداوله هو أيضا علامة".

والعلامة عند "إيكو" ذات تقسيم ثلاثي، وهو التقسيم الذي وضعه "بيرس"، وفي هذا الصدد نجده يعترف في معرض حديثه عن تصنيف العلامات بفضل جهود "بيرس" عليه، معللا ذلك بما وصفه "بالتصنيف الشامل"، قائلا: "تعود كل التصنيفات التي قدمناها إلى جهات نظر خاصة، بما في ذلك تصنيف "بيرس" الذي يقدمه لنا باعتباره تصنيفا شاملا، ولعل "بيرس" هو المفكر الوحيد الذي حاول تقديم تصنيف عام آخذا بعين الاعتبار كل جهات النظر ويكفينا أن نشير هنا إلى تقسيمات "بورس" الثلاثية وما تولد عن تأليفات هذه التقسيمات.

ـــ العلامة في ذاتها : علامة /مفردة/معيارية.

ـــ العلامة في علاقتها بموضوعها : أيقونة /مؤشر/رمز.

ـــ العلامة في علاقتها بالمؤول: خير /تصديق/حجة.

وبهذا يعلق "إيكو" ، "يمكن للعلامات أن تمثل أمامنا من خلال خصائص مختلفة وذلك وفق الحالات والظروف التي تستعمل داخلها، وهذا يعود بالتأكيد إلى أنها تمتلك طابعا أساسيا مشتركا وهو يشكل موضوع نظرية موحدة للعلامة تتجاوز كل هذه التصنيفات".

3. السيميوزيس اللامتناهية:

لقد قدم "أمبرتو إيكو" مجموعة من الدراسات اختصت بجملة من القضايا التأويلية التي ترى أن النصوص أو العلامات تحتمل كل تأويل، وينطلق في دراسته هذه من (المتاهة الهرمية)، نسبة إلى (الإله هرمس) الذي أطلقه اليونان على الإله المصري (تحوت) وسماه الأفلاطونيون المحدثون (هرمس)، ومنه تم تحديد معنى "الهرمينوطيقا" بداية بالاستناد على تفسير النص المقدس (الانجيل) ضمن " مجموعة المعارف والتقنيات التي تسمح باستنطاق العلامات واكتشاف معانيها... فهي (الهرمينوطيقا) تفترض بأن العلامات ومختلف أنواع الخطاب ليست واضحة، وبالتالي

علينا أن نكشف خلف كل معنى ظاهر عن معاني خفية فـ(المتاهة الهرمية) لديها خاصية رئيسية متمثلة في قدرتها على الانتقال من مدلول لآخر، ومن تشابه لآخر، ومن رابط لآخر دون ضابط أو رقيب.

وبالتالي فالهرمية والسيميوزيس يرتميان في بوتقة واحدة، هي لا نهائية الدلالات.

مصادر ومراجع المحاضرة:

. أمبرتو إيكو: التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، تر: سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء، ط 1، 2004.

. أمبرتو إيكو: السيميائية وفلسفة اللغة، تر: أحمد الصمعي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2005.

. أمبرتو إيكو: العلامة، تحليل المفهوم وتاريخه، تر: سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي العربي، المغرب، ط 1، 2007.

. سعيد بنكراد: السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط2، 2005.

. جان ماري شايفر: العلاماتية: مقال ضمن كتاب "العلاماتية وعلم النص" (نصوص مختارة ومترجمة) تر: منذر العياشي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2004.